المقارنات النقدية عند بدوي طبانة في مؤلفاته

The critical comparisons of Bdawi Tabanas' books

رنا منذر قدوري
مدرس مساعد
تربية صلاح الدين – قسم بيجي
د. مريم محمد جاسم
أستاذ
جامعة تكريت – كلية التربية للعلوم الإنسانية

Rana Munder Qadoori
Assistant lecturer
Education of Slaheldeen - Beji department
Dr. Marem M. Jassim
professor
University of Tikrit - College of education for human sciences

ra0891na@gmail.com
mer_moh@tu.edu.iq

الكلمات المفتاحية: الموازنات، النقدية، بدوي طبانة، القديم والمحدث، المؤلفات النقدية

Keywords: Budgets, cash, Badawi Tabana, ancient and modern, monetary literature

الملخص

تعد قضية الموازنات أو المقارنات النقدية من القضايا التي أهتم بها نقادنا القدامى وأولوها أهمية متميزة في مصنفاتهم القديمة، ولعل جذورها الأولى تعود لفكرة الطبقات، وبالطبيعة الإنسانية، وتنطلق من المفاضلة بين النصوص الأدبية وصولاً إلى الرقي بها نحو الأفضل، فنجد الناقد بدوي طبانة مقارناً بين النصوص الأدبية ليبرز أهمية الدور الذي تلعبه المقارنات في النقد، وتحقيق الغاية من هذه المقارنات المتجسد من المزج بين النصوص دون انصهار احدهما بالآخر.

Abstract

The issue of balances or comparisons critical can be considered as one of the issues which our old critics cared about and gave it a especial importance in their old works. Its historic roots might be belong to the idea of layers and the humanitarian nature. It started from the preference between tow literary texts to arrive the better work. Then we find Bdawi Tabana compared among the literary texts to explain the importance of the role that comparisons play in criticism, and to achieve the purpose of these comparisons embodied in mixing between texts without merging one with the other.

المقدمة

الحمد لله الذي خلق الخلائق وأحصاها عددا، وقسم الأرزاق ولم ينسَ أحدا، وصلى الله على من لم يبعث بعدهُ أحدا :

إن فكرة المقارنات بين الشعراء قد وجدت مبكرا في النقد الأدبي العربي، ابتدأت من الصور المختلفة للموازنات التي شهدها العصر الجاهلي أمثال حُكومة أم جُندُب بين زوجها أمرئ القيس زبين عَلقَّمة الفحل وما اشترطته في موازنتها من أن ينظما قصيدتين على نفس الوزن و القافية لكي تحكُمَ بينهما وتتبين إيهما أشعر فأن ذلك يدل على أن الجاهليين قد انتبهوا إلى فكرة المقارنة بين الشعراء وظلت المقارنات حتى أوائل القرن الثالث الهجري على شاكلة أم جّندُب، يُفضل فيها الموازنون الشاعر على الأخر لأجل بِبيتِ أجاد فيه، ولأحل قصيدة أبدع فيها دون أن يَعرضُوا لشعر الشاعر وشعر غيره، ومَّمن يوازنون به بالدرس والتحليل والمقارنة والتعليل .

وعرف العصر الحديث شكلا اخر من المقارنات النقدية على غرار ما عرفه النقد العربي القديم، وكانت هذه المقارنات بين احمد شوقي، وحافظ أبراهيم، وخليل ومطران وقد عرضنا في بحثنا ما يلي :

بدوي طبانة

هو احد ابرز علماء اللغة العربية المعاصرين، ولد الدكتور طبانة بمدينة الشهداء بمحافظة المنوفية بمصر في الثامن من أيلول سنة ١٩١٤م، حفظ القران الكريم وأتم دراسته الابتدائية في مسقط راسه، رحل بعدها إلى القاهرة وأتم دراسته بها حتى تخرج في كلية دار العلوم في اللغة العربية وآدابها سنة ١٩٣٨، حصل على الماجستير سنة ١٩٥١ من جامعة القاهرة في النقد الأدبي والبلاغة وكان موضوع الدراسة للماجستير أبو هلال العسكري ومقاييسه البلاغية، ثم حصل على الدكتوراه في سنة ١٩٥٣ وكانت بعنوان قدامة بن جعفر والنقد الأدبي، وقد تدرج الدكتور بدوي طبانة في وظائف السلك الجامعي مدرساً، فأستاذا مساعداً، فأستاذاً ورئيساً لقسم النقد الأدبي والبلاغة، والأدب المقارن بكلية دار العلوم جامعة القاهرة [١].

أبرز مؤلفاته:

١- أبو هلال العسكري ومقاييسه البلاغية والنقدية .

١- دراسات في نقد الأدب العربي : وفيه تناول نشأة النقد في الأدب العربي وآثار النقاد العرب الأوائل ومنهاجهم حتى القرن الرابع .

٢- السرقات الأدبية : وهو دراسته في ابتكار الأعمال الأدبية وتقليدها.

٣- الصاحب بن عباد (الوزير المتكلم الأديب).

٤- علم البيان (دراسة تأريخيه فنية في أصول البلاغة العربية).

٥- قدامة بن جعفر والنقد الأدبي.

٦- قضايا النقد الأدبي : وفيه تناول قضايا الوحدة، والالتزام والوضوح، والاطار والمضمون.

٧- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر (لضياء الدين بن الأثير، تقديم وشرح وتحقيق).

٨- معلقات العرب : وهو دراسته في ابتكار الأعمال الأدبية وتقليدها.

٩- مقدمة في التصوف الإسلامي (دراسة لشخصية الغزالي).

---

(١) profilaru.com ، موقع بوابة مصر، موقع بوابة اللغة العربية .

ترجماته للنقاد القدامى والمحدثين

تبين لي ومن خلال الاطلاع على مؤلفاته أنه ترجم لنقاد قدامى ومحدثين، إذ قدم الدكتور بدوي طبانة ترجمات متميزة لأثنين من كبار نقاد العرب وهما العسكري وقدامه بن جعفر وذلك في كتابه " قدامة بن جعفر والنقد الأدبي " وهو تحقيق لحياته وأثاره، ودراسة لما أعتبره الدكتور طبانة منهجاً في النقد الأدبي، "وأبو هلال العسكري ومقاييسه البلاغية والنقدية" وفيه تحدث عن منابع بلاغته ونقده، ومنهجه ومقاييسه واثره في البلاغة والنقد.

كما قدم ترجمتين متميزتين كان واحد منها يخص (علم من أعلام الأدب الأندلسي " الصاحب بن عباد" الوزير والعالم والأديب)، والثاني عن (شاعرية احمد محرم) حياته وشعره الإسلامي والوطني والاجتماعي وقد تناول الشاعر احمد محرم أيضا في كتابه كوكبة من شعراء العصر، كذلك قدم الدكتور بدوي طبانة دراسات تعريفية ونقدية بمجموعة من أعلام الحديث والمعاصر في عدد من الأقطار العربية في مصر والسعودية والعراق في مجموعة من الكتب (كوكبة من شعراء العصر) وهو دراسة لطائفة من أعلام الشعراء العرب والمعاصرين، وكتاب(فرسان الحلبة في الشعر العراقي) وهو دراسة تحليلية نقدية لخمسة من فحول شعرائه المعاصرين، وكتاب(من أعلام الشعر السعودي) ويتضمن دراسة تحليلية نقدية لطائفة من شعرائه وكتاب(أدب المرأة العراقية) وهو دراسة مطولة في الأدب النسوي، وتعريف بشواعر العراق .

عمله في مجال التحقيق

كما أن الدكتور طبانة قام بتقديم وشرح وتحقيق كتابين هما كتاب (المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر) لضياء الدين بن الأثير وكتاب (الفلك الدائر على المثل السائر) لابن أبي الحديد.

وفي مجال الدراسات الإسلامية تراه قد قدم كتاب (مقدمة التصوف الإسلامي) وتضمن دراسة تحليلية للشخصية الغزالي وفلسفته في الأحياء .

بحوثه

من الجدير بالذكر أن ننوه أن بدوي طبانة عندما ينتهي من الكتاب يذيلها بمقولة وللمؤلف كتبٌ منها وبحوثٌ منها، إذ كتبَ الدكتور بدوي طبانة بحوث علمية كثيرة كان أبرزها ما نشر في مجمع اللغة العربية بالقاهرة (معاني الكلام) و(تجربتي في صنعة معجم البلاغة العربية) و(والترجمات والمترجمون في كتاب الفهرست).

المطلب الأول

المقارنات أو الموازنات النقدية عند بدوي طبانة

إن قضية الموازنات النقدية من القضايا التي اهتم بها نقادنا القدامى وأولوها أهمية مميزة في مصنفاتهم النقدية، وهي قضية لها امتداد طويل في تاريخ النقد العربي القديم ولعل جذورها الأولى تعود إلى فكرة الطبقات ولعل نشأتها ترتبط بالطبيعة الإنسانية التي تتشد الكمال في الأبداع وتنطلق من المفاضلة بين الأشياء وصولا إلى الرقي بها نحو الأفضل.

ولعل الذوق كان ولا يزال منطلقا لهذه الموازنات الشعرية وظلت مسألة "أشعر الشعراء" مسيطرة خصوصا في مراحل النقد الانطباعي وبدايته، وشكلت هذه المسألة منطلقا لفكرة الموازنات، وكانت النصوص الأولى في تقويم الأشعار بالأسواق الأدبية شاهدا على تطور النقد العربي في مسيرته نحو الكمال والنضج، والموازنة بين الأشعار، لون من الوان النقد الملازم للشعر في كل الأزمنة أو الأمكنة، يتميز بها الرديء من الجيد والقوة ومن الضعف .

لقد شهد للعصر الجاهلي صورا مختلفة من الصور الموازنة فالقدماء كانوا يتحاكمون إلى النابغة الذبياني تحت قبته الحمراء في سوق عكاظ، إذ كان في نظرهم أقدم الشعراء على وزن الكلام، وما اكثر الأخبار عن الموازنة بين أمرئ القيس والنابغة الذبياني، وزهير والأعشى في الجاهلية، وبين جرير والفرزدق والأخطل في الدولة الأموية، وبين أبي نواس ومسلم بن وليد وأبي العتاهية، وبين أبن المعتز وابن الرومي، وبين أبي تمام والبحتري في الدولة العباسية وهكذا .

إن فكرة المفاضلة بين الشعراء، قد وجدت مبكراً في النقد الأدبي القديم،وإذا صح ما تناقلته المصادر الأدبية من قصة حُكومة أم جندب بين زوجها أمرئ القيس وبين علقمة الفحل . وما اشترطته في موازنتها من أن ينظما قصيدتين على نفس الوزن والقافية، لكي تحكمُ بينهما، وتبيَن إيهما أشعر، فأن ذلك يدل على أن الجاهليين قد انتبهوا إلى فكرة الموازنة بين الشعراء، وقد نشأت موازنة بسيطة جزئية تنتهي إلى أحكام عامة.

لقد ظلت الموازنات حتى القرن أو أوائل القرن الثالث الهجري على شاكلة موازنة أم جندب، يفضل فيها الموازنون الشاعر على الأخر لأجل بيت إجادة فيه، ولأجل قصيدة ابدع فيها، دون أن يعترضوا لشعر الشاعر وشعره غيره وممن يوازنون به بالدرس والتحليل والمقارنة والتحليل [١].

---

(١) ينظر: إحسان عباس، تأريخ النقد الأدبي عند العرب : ١٥٧، وينظر: عبدالقادر هني ، دراسات في النقد الأدبي عند العرب (من الجاهلية حتى نهاية العصر الأموي) :٢٥ .

وبهذا العرض لبداية الموازنات يجعلنا نرجع أو نربط بين هذا المعنى والمعنى اللغوي لمادة أو لفظة الموازنة (الموازنة)،فالواو والزاي والنون تدل على بناءٌ يدل على تعديل واستقامة : ووزنت الشيء وزنا، والزنة قدرُ وزن الشيء[١] .

أما لو جئنا لتعريف في عُرف النُقَّاد هي (المفاضلة بين شاعرين أو كاتبين أو عملين أو أديبين أو اكثر للوصول إلى حكم نقدي))[٢] .

وأما معنى الموازنة في الأدب فهي ((أقامه مقارنة بين أديبين أو أثرين أدبيين أو فكرتين))[٣] .

وفي البلاغة : هو أن يتساوى الفاصلتان في الوزن دون التقفية فأن المصفوفة والمبثوثة متساويان في الوزن دون التقفية ولا عبرة بالتاء لأنها زائدة.

ومن هذه التعريفات أو المعاني الاصطلاحية للموازنة نجد أنها تدل على التعديل ورفعةٌ العمل الأدبي أو الشعر أو النص الأدبي أن صح التعبير .وهذا يجرنا إلى التطرق للنقاد الذين اهتموا بقضية الموازنة في النقد العربي القديم، وقد أفرد لها كتاباً خاصاً سماه (الموازنة) والذي يعد وثبة في تاريخ النقد العربي، مما اجتمع له من خصائص وحدها دون تعليل واضح، فكان موازنة مدروسة مؤيدة بالفضيلات التي تلم بالمعاني والألفاظ والموضوعات الشعرية بفروعها المختلفة .... ولهذا جاء بحثا في النقد واضح المنهج، ليس فيه ألا اليسير من الاستطرادات الجزئية[٤] .

وقد أشار محمد مندور إلى قيمة موازنة الامدي، ومكانتها في النقد الأدبي، حيث يقول "لم يكتب مثلها في النقد العربي، ومنه ترى منهج المؤلف المستقيم إذ يتبع سير القصيدة ديباجة فخروجا فمديحا، وهو في كل جزء من هذه الأجزاء الثلاثة يفصل المعاني، ويميز بينها بحيث لا نظننا كنا مبالغين في شيء عندما قلنا : أن هذه الموازنة يمكن اعتبارها موسوعة في الشعر العربي منقطعة النظير "[٥] .

---

(١) ينظر: أبن منظور، لسان العرب : مادة "و ز ن "،أبن فارس، معجم مقاييس اللغة : مادة " و ز ن "، المعجم الوسيط : مادة " و ز ن "، احمد مطلوب، معجم مصطلحات النقد العربي القديم :٤١٢ .

(٢) احمد مطلوب، معجم مصطلحات النقد العربي القديم : ٤١٢ .

(٣) إميل بديع يعقوب، ميشيل عاصي، المعجم المفصل في اللغة والأدب : ١٢١٥ .

(٤) الجرجاني، التعريفات : ٢٠٠ .

(٥) محمد مندور، النقد المنهجي عند العرب : ٣٥٥ .

أذاً فالموازنات اقتربت من النقد المنهجي مع الامدي في كتابه (الموازنة بين الطائيين) الذي رسم فيه الكثير من المقاييس النقدية والمعايير الفنية للمفاضلة بين الشعراء وبمجيء الجرجاني في نهاية القرن الرابع الهجري الذي أشار في كتابه (الوساطة بين المتنبي وخصومه) إلى الكثير من الآراء حول المفاضلة بين المتنبي وخصومه ومحاولة لتأصيل الشعر الجيد من ما ساقه من نماذج من الشعر العربي القديم .

وفي موازنة الجرجاني بين القدامى والمحدثين الذين يميل اليهم في الكثير من أحكامه النقدية تمهيدا لنصرة المتنبي والدفاع عنه أمام خصومه الذين يؤثرون عنه الفحول المطبوعين من الشعراء القدامى، ُ}وخلاصة القول الجرجاني أن الشعر المحدث إلى طباع أهل العصر، يقول الجرجاني في ذلك وإنما أحلتك على البحتري لأنه أقرب بنا عهدا، ونحن به اشد انسأ، وكلامه أليق بطباعنا وأشبه بعاداتنا، وإنما تألف النفس ما جانسها أو تقبل الأقرب فالأقرب إليها، فأن شئت أن تعرف ذلك في شعر غيره كما عرفته في شعره، وأن تعتبر القديم كاعتبار المولد[١] .

اذاً فقد كان الجرجاني يرى نفسه ناقداً مؤهلاً ليتوسط بين الفريقين : مؤيدين المتنبي وخصومه، فاعتمد في وساطته مبدأ " المقايَسَة " على حد تعبيره إحسان عباس الذي يشير قائلاً : فالناقد الذي يتحرى الإنصاف قبل أن يفرد عيوب شاعر أو حسناته بالتمييز، عليه أن يقيسه على ما كان في تاريخ الشعر والشعراء يستهجن فلا خطأه في اللفظ لان قلما تجد شاعراً سلم من هذا الخطأ، ولا يستنكر خطأه في المعنى، فكم عدد العلماء من صنوف هذا الخطأ في شعر الأقدمين، ولا يسقطه بسبب التفاوت في شعره، ولينظر إلى أكابر الشعراء مثل أبي نواس وأبي تمام، وليحكم هل خلا شعرهم من تفاوت[٢] .

ويأتي أبن الأثير(ت ٦٦٧هـ) فيعرض إلى الموازنة من خلال كتابه (المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر) ويكتفي بثلاثة شعراء دون سواهم، وهم أبي تمام والبحتري والمتنبي ويجعل منهم المثال والأنموذج، ثم يعلل سبب الاختيار ويذكر محاسن كل شاعر على حده فيقول: ((وقد اكتفيت في هذا بشعر أبي تمام " حبيب بن أوس وأبي عبادة الوليد " البحتري " وأبي الطيب المتنبي وهؤلاء الثلاثة هم " لات الشعر وعُزَاه ومنَاتُه "[٣] الذين ظهرت على أيديهم

(١) الجرجاني، الوساطة بين المتنبي وخصومه :٣٤ .

(٢) إحسان عباس، النقد الأدبي عند العرب:٣٠٩ .

(٣) إشارة الى الهة العرب في الجاهلية: اللات والعزى ومناة، وقد ذكرها القران الكريم : "أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى " سورة النجم، الآيتان : ١٩-٢٠.

حسناته ومستحسناته، وقد حوت أشعارهم غرابة المحدثين إلى فصاحة القدامى، وجمعت بين الأمثال السائرة وحكمة الحكماء))[١] متناولاً كل شاعر على حده[٢].

أما حازم القرطاجني(ت ٦٨٤هـ) فقد أشار إلى المفاضلة بين الشعراء من خلال كتابه "منهاج البلغاء " حيث يقول : (أن المفاضلة بين الشعراء الذين أحاطوا بقوانين الصناعة وعرفوا مذاهبها لا يمكن تحقيقها، ولكن أنما يفاضل بينهم على سبيل التقريب وترجيح الظنون، ويكون حكم كل أنسان في ذلك بحسب ما يلائمه ويملُ له طبعه، إذ الشعر يختلف في نفسه بحسب اختلاف أنماطه وطرقه، ويختلف بحسب اختلاف الأزمان، وما يوجد فيها مما شأن القول الشعري أن يتعلق به، ويختلف بحسب اختلاف الأمكنة وما يوجد فيها مما شأنه أن يوصف، ويختلف بحسب الأحوال وما تصلح له وما يليق بها، وما تحمل عليه، ويختلف بحسب اختلاف الأشياء فيما يليق بها من الأوصاف والمعاني ويختلف بحسب ما تختص به كل أمة من اللغة المتعارفة عندها الجارية على ألسنتها)[٣].

كما نجد أن حازم القرطاجني قرر في سياق المفاضلة بين الشعراء جملة من المبادئ والحقائق والتي من ابرزها أن الشعر يختلف بحسب اختلاف أنماطه وطرقه، لهذا نجد شاعرا بارعا في نمط الجزالة والمتانة، ولا يتضمن في النمط الذي يقصد به اللطافة والدقة، وأخر يحسن في اللطافة ولا يحسن في الجزالة والمتانة، وهذا واضح عند الشعراء فنجد منهم يحسن في النسيب ولا يحسن في الهجاء مثلا . كما انه يرى أن الشعراء يختلفون بحسب اختلاف الأزمنة والأمكنة، وأحوال القائلين وأحوال ما يتعرضون للقول فيه، كما أننا لا ننسى أيضا ما قره حازم القرطاجني من اختلاف ما يستعملونه من اللغات فنجد واحدا يحسن في النظم المصوغ من الألفاظ الحوشية والغريبة، وأخر لا يحسن ألا في نظم اللغات المستعملة[٤] .

ومن المحدثين من عمد إلى الموازنة جرياً على ما عهده لدى الأوائل مع ابتكار في طريقة الموازنة بين الشعراء، كما هو الحال لدى زكي مبارك في كتابه الموازنة بين الشعراء، حيث أقام موازنة بين شعراء من عصور مختلفة مع الشاعر احمد شوقي فيوازن بين البحتري واحمد شوقي تارة متخذا أنموذجاً محدداً من شعريهما، وتارةً أخرى يوازن فيها بين احمد شوقي والحصري، وكذلك الحال متخذاً عدداً من الشعراء من العصور المختلفة، وزكي مبارك يقيم موازنة بين هؤلاء الشعراء على معايير وأسس نقدية حديثة كالصور الشعرية، وتوظيف الخيال

(١) أبن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر :٣٤٨/٢ .
(٢) ينظر : المصدر نفسه : ٢/ ٣٤٨-٣٤٩ .
(٣) حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء : ٣٧٤ .
(٤) ينظر في تفصيلها : المصدر نفسه : ٣٧٤-٣٧٩ .

والأغراض والمضامين التي تطرق إليها الشعراء في قصائدهم، وهو يطلق الأحكام على الشعراء

تبعا لكل معيار أو مقياس على حدة، فنراه يحكم لشوقي في توظيف الخيال واقفا على جزئية من شعره تناول فيها الحديث عن طيف الخيال في قوله [١] .

أفديكَ إلفاً، ولا الو الخيالَ فِدىً أغراكَ بالبُخلِ مَن أعزاهُ بالكَرَمِ.

وزكي مبارك يفضل وصف أحمد شوقي ويرجحهُ على البوصيري أذ وجد قوله مبتذلاً نوعاً ما[٢]، وذلك من خلال حكمهُ على البيت الاتي من قصيدة البردة [٣]

نَعَمْ سَرَى طَيفُ مَنْ أهَوى فأرّقَنِي والْحُبُّ يعترض اللذاتِ بالألمِ.

فلم يحكم زكي مبارك بالشاعرية للشاعر دون أخر كما فعل سابقوه مثل أبن سلام والأصمعي، ولا أكتفى بتحليل أحكام النقاد على الشعراء و تبريرها كما فعل الامدي، أنما أتبع منهجية حديثة قديمة يعرض فيها جزئيات من القصيدة، تبعا للمعايير حديثة ويفاضل ويوازن على اثرها بين الشعراء في كل جزئية منفصلة على حدة .

أذن فعلى الرغم من هذا العرض الموجز لهذه القضية وتناولها أو عرضها قديماً وحديثاً نلاحظ أنها تصب في معنى واحد هو رفعة النص لأن في الموازنة ينتابها شيء من الأنصاف الذي يحققهُ فيها ميزان المعايير النقدية التي تقوم عليه [٤] .

(١) احمد شوقي، ديوان احمد شوقي : ٢٠١ .

(٢) البوصيري، ديوان البوصيري: ١٩١ .

(٣) زكي مبارك، الموازنة بين الشعراء : ١٨٧ .

(٤) المفاضلة بين الشعراء في ضوء مقاييس النقد العربي القديم (بحث : محلية – جامعات الأنبار للغات، العدد : ٢ /١٠٦ بتصرّف، عبدالرحمن حميد ثامر .

المطلب الثاني

مقارنات بدوي طبانة للنصوص

أولاً: قديم وأخر مثلهُ

نموذج أ :

ناقدنا من النقاد الذين امتازوا بإيراد القضايا والمواضيع النقدية القديمة مع قدر معقول من التأثر بالنظريات الحديثة والمدارس المعاصرة من دون أن يتبنى منهجاً محدداً، ولهذا فالمُطلع على مؤلفاته يجدها ذات مذاقاً متميزاً لدراسات نقدية عربية بل أننا نجده قد أسهم على توظيف دراساته في النقد العربي القديم في تناول كثير من الأعمال الأدبية المعاصرة، وأعلام الأدب .

ومن خلال اطلاعنا على مؤلفاته وجدنا أن بدوي طبانة قد لجأ إلى إيراد مقارنات حول موضوع أو قضية يتناولها فيقوم بتأصيل هذا الموضوع ثم يورد بعض الآراء أو التعاريف المتمثلة بالنصوص الأدبية لنقاد قدامى مثلُ النقد العربي القديم وأخرون معاصرون ونقاد غربيون ليثبت وجهة نظره أو رايه في تعريف أو مقولة.

ولنبدأ بالنص الذي أورده بخصوص موضوع أو قضية السرقات، فعلى الرغم من إيراده أراء ونصوص لنقاد تحدثوا عن هذه القضية ألا أننا نجده قد أورد نص للأمدي بخصوص النقاد في رأيهم بالسرقات فمنهم من يراها سرقة وإغارة أو مسخا، ومنهم من يتلطف في تلك الألقاب تحرزاً من الخطأ، وأحساناً للظن فيسمونه اقتباساً وأخذاً، وتضميناً، واستشهاداً، وعقداً وغير ذلك من الأسماء الرقيقة المهذبة .

مبيناً أن الاختلاف بين النقاد في هذا الأمر هو الذي أدى إلى الاختلاف في وصفهم بتلك الألفاظ المتفاوتة فيذكر[١] أن الامدي يقول (أن من أدركه من أهل العلم بالشعر لم يكونوا يرون سرقات المعاني من كبير مساوئ الشعراء وخاصة المتأخرين منهم، أذ كان هذا باباً ما تعرى منه متقدم ولا متأخر)[٢] .

ويرى القاضي الجرجاني (أن السرقة داء قديم، وعيب عتيق، ومازال الشاعر يستعين بخاطر الأخر ويستمد من قريحتهِ، ويعتمد على معناه ولفظه وكان أكثره ظاهراً كالتوارد، وأن تجاوز ذلك قليلاً في الغموض لم يكن فيه غير اختلاف الألفاظ[٣] فنجده ومن خلال إيراده

---

(١) بدوي طبانة، السرقات الأدبية : ٣٣ .

(٢) الامدي، الموازنة بين الطائيين : ١٣١ .

(٣) الوساطة بين المتنبي وخصومه ١٢: ٢٠٧ .

لتهذيب النصين للامدي والجرجاني، يذكر أن التهوين كان يبدو واضحا من كلمات هذين الناقدين الكبيرين والذي نجده من الآراء العميقة التي نفذا إلى أعماق ذلك السطو الأدبي، إذ أصبح ادراك هذه السرقة من الأعمال المجيدة التي تدل على بصيرة الناقد وتمكنه من صناعته والقدرة على تمييز الأصل من الدخيل، لأن الآخذ يعمد إلى إخفاء أخذهُ حتى ليصعب التمييز ألا على الخبراء المجيدين، فمن خلال هذين النصين قد حسم طبانة رأيه بالسرقة .

نموذج ب :

وفي موضوع وحدة العمل الشعري نجده أيضاً يقارن بين رأي أبن طباطبا العلوي، مع رأي ناقد من علماء الأدب في القرن الرابع الهجري وهو الحاتمي (ت ٣٨٨ هـ)، فأبن طباطبا يرى: (أن أحسن الشعر ما ينتظم القول فيه انتظاماً ينسق به أوله مع أخر على ما ينسقه قائله، فأن قدم بيت على بيت دخله الحلل كما يدخل السائل والخطب أذا أتفق تأليفها، فأن الشعر أذا أسس تأسيس فصول الرسائل القائمة بأنفسها، وكلمات الحكمة المستقلة بذاتها، والأمثال السائرة والموسومة باختصارها لم يحسن نظمه، بل يجب أن تكون القصيدة كلها كلمة واحدة في اشتباه أولها بأخرها .....)[١] مقارناً بين قول ابن طباطبا وقول الحاتمي الذي شبه القصيدة في مجموعتها بجسد الأنسان فقال: (أن مثل القصيدة مثل الأنسان في اتصال بعض أعضائه ببعض، فمتى انفصل واحد عن الآخر، وباينهُ في صحة التركيب، غادر الجسم ذا عاهة تتخون محاسنه، وتعفى معالمه، قال : وقد وجدت حذاق المتقدمين، وأرباب لصناعة من المحدثين يحترسون في مثل هذا الحال احتراساً يجنبهم شوائب النقصان، ويقف بهم على محجة الإحسان، حتى يقع الاتصال ويؤمن الانفصال، وتأتي القصيدة في تناسب صدورها وإعجازها، وانتظام نسيبها بمديحها كالرسابة البليغة والخطبة الموجزة لا ينفصل منها جزء عن جزء، وهذا مذهب اختص به المحدثون، لتوقد خواطرهم ولطف أفكارهم، واعتماد البديع وأفانينه في أشعارهم، وكأنه مذهب سهلوا خزنهُ ونهجوا دُراسهُ)[٢] .

ففي طرح هذين الرأيين وعقد المقارنة بينهما نجد أن على الرغم من اختلاف قائليها ألا أنها إشارة إلى أن الوحدة الفنية موجودة بطبيعتها في الرسائل وفي الخطب الموجزة، بقياس الخطب الطويلة وكأن بدوي طبانة من خلال هذه المقارنة بين النصين يعطي تفاصيل الوحدة الفنية بشكل مفصل، وذلك من خلال ذكر الحاتمي أن الخطب الطويلة التي يكثر فيها الاستطراد، وتعدد الأغراض .

---

(١) ابن طباطبا،(عيار الشعر) : ١٢٦ .

(٢) زهر الآداب، هذا القول وجد في كتاب زهر الآداب وثمر الألباب :١٧/٣ .

أما الشعر فأن الحرص على تحقيق الوحدة فيه يتفاوت فيه الشعراء على حسب مراتبهم من الإجادة والقدرة على الأبداع، لأن النص الصريح ينبغي أن يكون كالكلمة الواحدة في تشابه أجزائها من حيث مشاكلة الألفاظ وحدة المعاني [١] .

ومن هذه المقارنات نجد أن بدوي طبانة قد لجأ إلى هذه الأسلوب ليزيد فهم القارئ ويلم بطرح القضية التي يتناولها من جهة، ومن جهة أخرئ نجده من خلال هذه المقارنات خلق انسجاما أو خليطاً من الآراء على الرغم من اختلاف زمانها أو وقتها ألا أنها بقت تصب في مغزى واحدا، كما أننا نجده وفي أغلب مقارنته يلجأ طبانة إلى أثبات الفكرة أو تأصيلها وذلك من خلال عرضها عند النقاد العرب القدامى .

(١) ينظر : بدوي طبانة، قضايا النقد الأدبي :٩٨- ٩٩ .

ثانيا : نص قديم ومحدث – وغربي :

أما لو جئنا إلى تناول بدوي طبانة بقضية مقياس الوحدة في النقد الأدبي في كتابه قضايا الأدب العربي لوجدناه يورد أراء عربية قديمة وآراء لنقاد غربيون حول قضية الالتزام .

راي أبن طباطبا العلوي (ت ٣٢ هـ) في كتابه (عيار الشعر) فيسبقه بقوله ولعل من أقدم ما أثر عن النقاد العرب، وأكثره صراحةً ووضوحاً في النظرة الكلية للشعر، وفي ضرورة مراعاة الوحدة والتجانس بين أبيات القصيدة ما قاله ناقد كبير معدود في طليعة النقاد العرب وهو ابن طباطبا العلوي في ما جاء فيه [١] : (ينبغي للشاعر أن يتأمل شعره، وتنسيق أبياته ويقف على حسن تجاورها أو قبحه، فيلائم بينها لتنتظم له معانيها، ويتصل كلامه فيها، ولا يجعل بين ما قد أبتدأ وصفه، وبين تمامه فصلاً من حشو ليس من جنس ما فيه، فينسى السامع المعنى الذي يسوق القول إليه، كما أنه يحترز من ذلك في كل بيت، فلا يباعد كلمة عن أختها، ولا يحجز بينها وبين تمامها بحشو يشينها، ويتفقد كل مصراع هل يشاكله ما قبله، فربما أتفق للشاعر بيتان يضع مصراع كل واحد منهما في موضع الأخر، فلا ينتبه إلى ذلك ألا من دق نظره، ولطف فهمه...، وربما وقع الخلل في الشعر من جهة الرواة والناقلين له، فيسمعون الشعر على جهة، ويؤدونه على غيرها سهواً، ولا يتذكرون حقيقة ما سمعوه منه)[٢].

وقوله: (وأحسن الشعر ما ينتظم القول فيه انتظاماً ينسق به أو له مع أخر على ما ينسقه قائله...)[٣] ثم يذكر أن كلام ابن طباطبا في هذا الموضوع قريب من قول العقاد :(أن القصيدة ينبغي أن تكون عملاً فنياً تاماً، يكمل فيه تصوير خاطر أو خواطر متجانسة، كما يكمل التمثال بأعضائه، والصور بأجزائها، واللحن الموسيقي بأنغامه، بحيث إذا اختلف الوضع أو تغيرت النسبة أخل ذلك بوحدة الصنعة وأفسدها)[٤] .

وعند أرسطو تنشأ وحدة المحاكاة من وحدة الموضوع كذلك في الخرافة، لأنها محاكاة فعل، وأوجب أرسطو أن يكون الفعل واحداً وأن يكون تاماً، وأن تؤلف الأجزاء بحيث إذا نقل أو بتر جزء أنفرط عقد الكل وتزعزع، لأن ما يمكن أن يضاف أو ألا يضاف دون نتيجة ملموسة لا يكون جزءاً من ذلك الكل[٥]،

---

(١) بدوي طبانة، قضايا النقد الأدبي : ٩٦ .

(٢) ينظر: عيار الشعر : ١٢٦.

(٣) المصدر نفسه : ١٢٦ .

(٤) العقاد : الديوان : ٢/ ٤٧ .

(٥) فن الشعر لأرسطو : ترجمة : د . عبدالرحمن بدوي : ٢٦

ذاكراً أن هذا الالتقاء في الأفكار حول موضوع الوحدة في العمل الشعري، ضرورة الترابط بين أجزائه، والتحذير من الحشو بين أجزاء العمل الشعري، وإدخال معان ليست من جنس ما أخذ الشاعر فيه، حتى يستمر السامع في متابعة التجربة التي أراد الشاعر التعبير عنها في قصيدته .

كما اكد أرسطو يرى أبن طباطبا من قبله بان أجود الشعر ما كان متلاحم الأجزاء بحيث إذا قدم جزء من أجزائه عن موضعه الطبيعي اختل نسقه، وأضطرب معناه، فهو كما شبهُ أرسطو بأنه عقد من اللؤلؤ إذ بتر جزء أنفرط عقد الكل وتزعزع .

ومن هذه النصوص يتوصل أو يثبت بدوي طبانة أن القصيدة كيان واحد لا يمكن تجزئته وأن الشاعر إذا خطر إلى الاستطراد أو الخروج عن الموضوع الذي اخذ فيه، عليه أن يحسن التخلص أو الخروج بلطف حتى لا يحس القارئ أو السامع بذلك الخروج، ولتبدو أمامه القصيدة وكأنها أفرغت إفراغاً واحداً، تقتضي كل كلمة ما قبلها ويكون ما بعدها متعلقاً بها مفتقراً أليها [١].

(١) بدوي طبانة، قضايا النقد الأدبي :١٢٠- ١٣٥ .

ثالثا: نص غربي وأخر معاصر

قضية الوضوح والغموض التي طرحها بدوي طبانة في كتابة قضايا النقد الأدبي نجده يورد، نصاً ((أناتول فرانس)) الذي يرى أنه كلما أنعم النظر بدا له انه لا جميل ألا السهل ويقول :(قد فرغت من الذوق الغوامض، وصرت أرى أن الشاعر أو القاص الذي لا يعاب هو الذي يتجنب أن يكلف قارئه أي تعب، ولو كان يسيراً، وأن يتخلله أية صعوبة، ولو كانت طفيفة، ومن الخير له أن يفاجئ القارئ، لا أنه ينتزعه منه انتزاعاً، وأن يحذر التعويل على صبر القراء وأن يعتقد أنهم لا يقرأون ألا إذا كان ما يقرأون سهلاً)[١].

أما العقاد فنراه يرى في ضرورة الوضوح والتيسير على القارئ، لكن هذه السهولة ينبغي أن تقتصر على الذين يقدرون الجمال ويحبونه، بعد الخبرة والممارسة والتذوق والتهذيب . فنجد الفرق بين النصين من خلال حديثهما على السهولة والوضوح فالأول لا يشترط في تحقيق السهولة والوضوح في النص للقارئ، أما العقاد فأنه يرى أنه ليس معنى السهولة في جمال الفنون أن ذلك الجمال رخيص مباح لكل من يرمقهُ بجانب عينه، ولا أنه غنى عن التأمل والتفكير، لكن معناه أنه سهل سائغ لمن يستعد له استعداده،ويبذل فيه ثمنهُ، كذلك الثمرة الشهية سهلة سائغة لمن يشتريها ويغرسها، ولكن ليس معنى ذلك أنها تمطر من السماء، أو تطرح على التراب أو تنمو كما ينمو نبات السحر الذي لا يسقى ولا يتعهد، ولا يقام عليه بالعلم والاختبار[٢].

أذاً على الرغم من اختلاف وجهة نظر الناقدين ألا أنها تصب في منحى واحد هو السهولة بل أننا نستطيع أن نستخلص من قول العقاد أن السهولة المطلقة ليست هي مقياس الفنية، لأن ما يبدو سهلاً يسيراً عند قوم قد يبدو صعباً ثقيلاً عند آخرين، بل أن السهولة مقياسا للأدب والفنون عند الخبراء الذين يقدرون الفن الأدبي ويحبونه، ويقدرون على تذوقه، وهذا يحتم توافر قدر من الثقافة أو المعرفة الفنية في مستقبل العمل الفني وتحقيق هدفه من الأثارة والتأثير، وهذا يستلزم بالضرورة أن هناك فرقاً بين الناقد المتخصص والقارئ أو المتلقي الذي يتوجه إليه العمل الفني، وهذا المتلقي هو ركن من الأركان التي لا تتجه العناية ألا إليه، إذ هو المقصود بالإشارة أو الإمتاع أو انتزاع اعترافه بمقدرة الفنان، وانتزاع إعجابه به، وهذا ما نادت به وأكدتهُ المناهج النقدية الحديثة*.

---

(١) أناتول فرانس : هو روائي وناقد فرنسي ولد في باريس سنة ١٨٤٤ وكان أبيه بائعٌ للكتب وكانت بدايته في دكان أبيه، يعد من أعلام المذهب التأثري الانطباعي من روايته الزنبقة الحمراء، ثورة الملائكة، حصل على جائزة نوبل في الأدب لمجموع أعماله سنة ١٩٢١ .

(٢) قضايا النقد الأدبي : ١٣٥-١٣٦ .

رابعاً : مقارنة بين الأعمال الأدبية

أما لو تطرقنا لأنموذج من المقارنات بين مؤلفين من عصر واحد أو كل واحد منهما من عصر مختلف لوجدنا طبانة قد تناول مثل هذه المقارنات في مؤلفاتهِ بل لا يكاد مؤلف من مؤلفاتهِ لم ترد فيه مقارنة من هذا النوع، ولنأخذ مثلاً على ذلك مقارنتهِ بين كتاب الجاحظ (البيان والتبين) وكتاب (الكامل)، فنجده يستهل مقارنته بقولهِ : (شهد القرن الثالث مولد التأليف في الأدب أو في البيان العربي بأوسع معانيه، فقد ألف الجاحظ (ت ٢٥٥هـ) كتاب البيان والتبين، وألف المبرد (ت٢٨٥هـ) كتاب الكامل، وهذان الكتابان يعدان موسوعتين من موسوعات البيان العربي، بل موسوعات الثقافة الأدبية واللغوية، والتشابه بين أسلوبيهما واضح في اعتماد كل منهما على الرواية وحرصه على الأسانيد، وفي ذلك الأسلوب الاستطرادي الذي يظهر في كليهما، وأن كان اختلاف في مادة كل منهما فمرجعه اختلاف شخصية مؤلفيهما، فقد تسلطت على الجاحظ الفكرة الأدبية وسيطرت عللي المبرد الفكرة العلمية)[١] .

وأن كل منهما اشتمل على وصف كثير من نعوت الجودة والتنبيه على مواضع العيب، والمؤاخذة في النص الأدبي، كما أن فيهما كثيراً من الموازنات بين النصوص المتشابهة في مغزاها أو مبناها .

ويؤخذ عليهما أن تلك النظرات – سواء أكانت نقدية أم تعليمية منثورة في ثناياهما، ويدل ذلك على فقدان الروح العلمية في التنظيم والتقسيم، وهما على كل حال صورة صادقة للمادة المحتشدة في ذهن كاتبيهما، وللعصر الذي ألف كل منهما فيه[٢] .

ومن خلال هذه المقارنة التي قد نطلق عليها سطحية عامة لكتابين مثلً موسوعتين من موسوعات ازدهار التأليف في ذلك القرن، ألا أننا وجدناه ينحو منحى النقاد القدماء بعقد الموازنات بين ثنايا مؤلفاتهِ متبعاً المنهج الاستطرادي في الحديث عن القضية أو الموضوع، بارزاً لمحاسن ومساوئ العمل الأدبي أو النص وهذا هو الهدف من المقارنة وهنا مثلت هذه المقارنة العمل الأدبي، على الرغم من دراية طبانة بأنه لا يخفى على احد مكانة وأهمية هاتين الموسوعتين العلميتين، ألا أنه لم يمنعه ذلك من عقد مقارنته ليزيدها رفعتً وشهرتً ليضيفها على مكانتهما بين الكتب النقدية واللغوية، ليجعل القارئ أو الباحث – أن صح التعبير – ملماً بكل نواحي الموضوع وهذا مبتغى الكاتب أو الناقد الناجح .

---

(١) قدامة والنقد الأدبي : ٢٩ .

* المنهج التاريخي، والنفسي، والبنيوي وغيرها من المناهج.

(٢) قدامة بن جعفر : ٢٩ .

الخاتمة

وأخيرا فقد توصلنا من خلال هذه الدراسة– قدر المستطاع – ومن خلال الخطوة التطبيقية لجهود ناقدنا للكشف عن مدى الترابط القائم بين النقد الأدبي والأدب المقارن، كما كشف عن القدرة الفنية والأبعاد الجمالية للنصوص الأدبية، بعد إظهار مدى تطابقها مع الأسس النظرية الجديدة، وهذا ما نهجهُ ناقدنا لنفسهِ، كما أننا استطعنا من خلال هذه الدراسة أن نكشف عن هذه النصوص الأدبية و أبعادها الجمالية، على الرغم من مرور زمن طويل على إنتاجها وذلك عبر توظيف أليات النقد الأدبي الحديث، وتبني استراتيجيات غير محددة تنسجم مع ما يحملهُ النص من معانٍ ومفاهيم، بل نجد الناقد قد وضع تلك الجماليات أو برزها للقارء ليزيد من فهمهُ للنص الأدبي، ويعزز رؤيتهُ لاختيار الأفضل وهذا ما سعى إليه بدوي طبانة مستوعباً كل جهات الفن الأدبي وحدود أركانهُ جاعلاً أو موضحً لكل ركن من تلك الأركان حدوداً وشروطاً مستعملاً تقنياتهُ الخاصة في طرح القضايا وطرح النصوص المتعلقة بها، لاسيما في توظيف أكثر من نص وأكثر من أتجاه في موضوع أو قضيه نقدية واحدة.

ثبت المصادر

أولاً: الكتب

- الدكتور إحسان عباس : تاريخ النقد العربي عند العرب (نقد الشعر حتى القرن الثامن الهجري)، دار الثقافة، بيروت– لبنان الطبعة الأولى ١٩٧١ .
- ديوان البوصيري، نظم شرف الدين أبي عبدالله محمد بن سعيد البوصيري، تحقيق محمد سيد كيلاني، شركة مكتبة ومطبعة مصطفي البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة الأولى ١٩٥٥.
- الديوان بالأدب والنقد ، عباس محمود العقاد وإبراهيم عبدالقادر المازني، مؤسسة هنداوي لنشر المعرفة، ١١ أكتوبر ٢٠١٤.
- ديوان شوقي، دار صادر / بيروت .
- زهر الأدب وثمر الألباب ، لابي إسحاق الحصري القيرواني، مفصل ومضبوط ومشروح بقلم الدكتور زكي مبارك، المطبعة الرحمانية بمصر .
- السرقات الأدبية، دراسة في ابتكار الأعمال الأدبية وتقليدها، الدكتور بدوي طبانة، نهضة مصر، الفجالة– القاهرة .
- عيار الشعر، محمد احمد بن طباطبا العلوي، شرح وتحقيق عباس عبدالساتر، مراجعة : نعيم زرزور، منشورات محمد علي بيضوت، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان.
- كتاب أرسطو فن الشعر، ترجمه عن اليونانية وشرحهُ عبدالرحمن بدوي، الناشر: وكالة المطبوعات الكويت، دار القلم بيروت – لبنان .
- لسان العرب، أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، أبن منظور الأفريقي، مطبعة : دار صادر – بيروت .
- المثل السائر في أدب الكاتب و الشاعر، لضياء الدين بن الأثير، تحقيق محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية بيروت، ١٩٩٥ .
- معجم التعريفات، علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني، تحقيق ودراسة محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة .
- المعجم المفصل في اللغة والأدب، ميشيل عاصي، إيميل بديع يعقوب، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٧ .
- معجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، نشر دار الدعوة، الطبعة الرابعة، ٢٠٠٤ .
- معجم مصطلحات النقد العربي القديم، احمد مطلوب . مكتبة لبنان ناشرو، الطبعة الأولى ٢٠٠١ .

- معجم مقاييس اللغة، أبن فارس، تحقيق عبدالسلام هارون، دار الفكر للنشر والتوزيع، بيروت ١٩٧٩ .
- منهاج البلغاء وسراج الأدباء، صنعهُ أبي الحسن حازم القرطاجني، تقديم وتحقيق محمد الحبيب ابن الخوجة، دار الغرب الإسلامي للتوزيع والنشر، الطبعة الثالثة .
- الموازنة بين الشعراء، تأليف دكتور زكي مبارك، دار هنداوي .
- الموازنة بين شعر أبي تمام والبحري، لابي القاسم الحسن بن بشر الامدي، تحقيق السيد احمد صقر، دار المعارف، الطبعة الرابعة.
- النقد المنهجي عند العرب ومنهج البحث في الأدب واللغة، محمد مندور، مطبعة دار النهضة مصر – الفجالة– القاهرة .
- الوساطة بين المتنبي وخصومه، لقاضي علي بن عبدالعزيز الجرجاني، تحقيق محمود أبو الفضل إبراهيم، علي محمد البجاوي، مطبعة دار القلم – بيروت – لبنان .

ثانياً: البحوث

- المفاضلة بين الشعراء في ضوء مقاييس النقد العربي القديم، بحث، جامعة الأنبار للغات، العدد :٢، عبدالرحمن حميد ثامر .